الفنون النثرية (المسرح)

يعد المسرح من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان، إذ يجمع بين الكلمة والحركة والصوت في إطار فني حي. وقد نشأ ليكون وسيلة للتعبير عن قضايا المجتمع وهموم الإنسان عبر العصور. ويتميّز المسرح بقدرته على محاكاة الواقع وإثارة التفكير والنقاش لدى الجمهور. كما يسهم في تنمية الذوق الجمالي وتعزيز القيم الإنسانية. ويعتمد المسرح على تفاعل مباشر بين الممثلين والجمهور، مما يمنحه خصوصية فريدة. لذلك ظل المسرح فنا مؤثرا وحاضرا في مختلف الثقافات.

أولا: مفهوم المسرح

أ . المسرح لغة ورد المسرح في المعاجم بمعنى المرعى، يقول الخليل بن أحمد في كتاب العين:"عرف اللفظ في التسرح: سرحنا الإبل، وسرحت الإبل سرحانا، والمسرح: مرعى السرح، والسرح من المال: ما يغذى به ويراح، والجميع سروح، والسارح اسم للراعي، ويكون اسما للقوم الذين هم السرح نحو الحاصر والسامر وهم الجميع"[1]. فالمسرح معناه المرعى.

ب . المسرح اصطلاحا:

المسرحية هي فن أدبي وفني يجمع بين الكتابة الأدبية والعرض الحي على خشبة المسرح، حيث يتم تقديم قصة أو صراع أمام جمهور مباشر باستخدام الحوار والحركة والإيماءات والتعبيرات الجسدية والموسيقى والديكور والإضاءة. فهي بذلك ليست مجرد نص مكتوب، بل تجربة متعددة الأبعاد تجمع بين الكلمات والفعل والصوت والصورة.

1 ـ الخليل بن أحمد، كتاب العين، ترتيب ومراجعة: داود سلوم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، ط1 ،2004، ص: 359 . مادة سرح

المسرحية هي التعبير عن صورة من صور الحياة تعبيرا واضحا بواسطة ممثلين يؤدون أدوارهم أمام محتشد من الجمهور، بحيث يكون هذا التمثيل مثيرا، وهي قطعة من الحياة ينقلها إلينا الأديب لنراها ممثلة على المسرح"[1]. ونجد في المعجم الأدبي بأن المسرح يعالج الموضوعات الشائعة في الفنون الأدبية الأخرى، وبخاصة القضايا المتعلقة بطبيعة الإنسان وما يصدر عنه من أفعال، وما يعتمل في داخله من مشاعر وأحاسيس وأفكار. ويفرض في هذه القضايا، على اختلاف أنواعها، أن يكون لها أصداء وترجمات خارجية قابلة للإظهار على المسرح، وقد تكون مستقاة من التاريخ القديم أو الحديث، أو من تصادم النظريات والمواقف، أو من مشاهد الحياة العامة والخاصة".[2]

يتضح من المفاهيم المذكورة أعلاه أن المسرح قصة تمثل أمام الجمهور بواسطة ممثلين، تكون مستقاة من الحياة وبخاصة القضايا التي تخص الإنسان.

ثانيا: الفرق بين الملحمة والرواية والمسرحية

من المعروف أن في الملحمة والرواية تمر جميع الأحداث عادة أمام أنظارنا، وتتوضح الأطر وملامح الشخصيات والدوافع المحركة، ونستمع إلى الأحاديث وندرك تحرك الجزئيات في السياق العام. أما في المسرحية فإن الأشخاص وحدهم يقومون بالعمل المتجلي في طباعهم، والمترجم عنهم بأقوالهم ومواقفهم، وليس فيها شيء من السرد الموحِي أو الممهد أو الملخص، بل كل ما نتوصل إليه وما نستنتجه يكون من الحوار أو من مناجاة النفس أو من الملامح والنبرات أو تفاصيل المسرح وزخارفه. فيتركز الانتباه في الشخصيات التي تتعارض أو تتناقض أو تتوافق، ومع ذلك فإن الشعور الذي نحس به هو أن ما نراه أمامنا هو الحياة، أو جزء من الحياة النابضة بالنشاط، وهذا ما يميز المسرح عن سواه من الفنون الأدبية الأخرى.[3]

1 ـ محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج2، دار الجبل. بيروتط1، 1992، ص: 459.
2 ـ عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للماليين، ط1، 1984، ص:248.247
3 ـ المرجع نفسه، ص: 248.

ثالثا: أسباب وجود المسرحيّة العربيّة الحديثة:

تحكمت في إنتاجية المسرحية الحديثة مجموعة أسباب نذكر منها:

1- تشجيع الحكام: مما يذكر عن الخديوي اسماعيل إسهاماته التشجيعية في باب تشييد صرح هذا الجنس الأدبي الوافد من الغرب، وبيان ذلك متابعته للنصوص المسرحية، وحضوره تقديم عروضها في قصره، وتشجيعه لمؤسسي المسرح ومن بينهم يعقوب صنوع حتى لقبه "موليير مصر".

2- تعاضد جهود الأدباء فيما بينهم: ومن ذلك نذكر التشجيع الحاصل بين سليم النقاش واسحاق أديب حتى شكلا ثنائيا يبذل من الجهود الكثير من أجل إنتاجية النص المسرحي والذي سيتحول حتما على يديهما أو أيدي غيرهما إلى عرض مشهدي على الخشبة.

3- أزمات الأدباء: استخدم بعض الأدباء المسرحية الحديثة كأداة للتعبير عن أوجاعهم سواء كانت خاصة بالأمة أو المبدع أو هما معا، فأحمد باكثير لم يكتب المسرحية إلا لأنه وجد فيها متنفسا للتعبير عما كان يقاسيه من أوجاع نفسية بسبب موت زوجته هذا من جهة، ومن جهة أخرى، رأى باكثير في المسرحية نسيجا يمكنه أن يحوي تعبيرا عن شعوره بالسخط والنقمة على أوضاع وطنه بحضرموت.

4- جهود طلاب البعثات العلمية: احتك طلاب البعثات العلمية بآداب الآخر ولما عادوا إلى أوطانهم حاولوا تمثل تلك الفنون الأدبية في بيئاتهم العربية ومن بينها المسرحية، ومن ذلك مساعي محمد تيمور، فبعد السنوات الثلاث التي قضاها بباريس دارسا الحقوق عاد إلى مصر فـ"التف حول محمد تيمور صفوة من الشباب المثقف.. يتلقون عنه الأفكار والاتجاهات العصرية من أجل خلق أدب مصري جديد.. وأقبل.. يؤلف.. المسرحيات ويسهم في أندية وجمعيات للأدب والفن.

5- تأسيس النوادي والفرق المسرحية: تأسست فرق مسرحية كثيرة في العصر الحديث نذكر منها فرقة سليم النقاش، فرقة جورج أبيض، فرقة رمسيس، فرقة سلامة حجازي، غير أن تأسيس هذه الفرق المسرحية والنوادي الأدبية والمنشآت المسرحية يبقى منقوصا في ظل غياب النص المسرحي، فراحت تلك الفرق المسرحية تحفز الأدباء على تأليف النصوص المسرحية فـ"نشط في الكتابة والتأليف والاقتباس والترجمة لإسكندر فرح مجموعة من الأدباء الكبار.. أمثال نجيب حداد..، فرح أنطون..، خليل مطران..، إلياس فياض..، خليل كامل..، طانيوس عبده..، اسماعيل عاصم.

رابعا: نشأة فن المسرحية

بدأت المسرحية في أغلب الأمر عند المصريين القدماء، وأخذها عنهم الإغريق، ثم تمثلت بعد ذلك لدى عدد من الناس. وقد تمثلت عندهم في أول الأمر في الأناشيد الدينية التي ارتبطت بالحفلات التي كانوا يقيمونها في مواسم الزراعة، وتطورت بعد ذلك إلى الفن المسرحي الراقي الذي كان من أكبر نقاده أرسطو عند الإغريق ثم هوراس عند الرومان.

أما المسرح العربي الحديث فقد نشأ على أيدي ثلاثة من الرواد هم :مارون النقاش في لبنان، وأبو خليل القباني في الشام، ويعقوب صنوع في مصر. ويعد النقاش أول من قدم محاولة في هذا الفن وهي مسرحية البخيل التي مثلها في بيته في أواخر سنة 1847، وتبعه أبو خليل القباني الذي قدم في الشام عدة روايات، منها رواية أبي الحسن المغفل التي أثارت حفيظة المحافظين، فأغلق مسرحه وانتقل به إلى مصر. وكانت المحاولات المتميزة لهذا الفن في مصر على أيدي يعقوب صنوع 1870، وقد بذل هؤلاء الرواد جهودا كبيرة في تطور المسرح العربي[1].

خامسا: المسرح بناؤه وأركانه

1 ـ سامي يوسف أبو زيد، تذوق النص الأدبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع. عمان، 2012، ص: 247.

تنقسم المسرحية من حيث البناء إلى نقاط هي:

. نقطة البداية (الهجوم) :وتحتاج إلى مهارة فائقة في إعداد حوار ينبئ عن طبيعة الموضوع ومكانه وزمانه وملامح الشخصيات.

. الصراع :ويأتي من تدرج الأحداث والمواقف، ويشتدّ حتى يصل إلى الذروة (الأزمة).

. الحل (القرار).

للمسرح أركان تتمثل في: النص، والممثلين، والإخراج، ومبنى المسرح، والديكور. فلا مسرح دون نص متميز، ولا مسرح من غير ممثلين محترفين. وللمسرح مخرج له اليد الطولى في تقديم العمل المسرحي للجمهور على شكل مشاهد وفصول، وهو الذي يتابع عمل الممثلين ويتحكم في ترتيب المشاهد وتنسيقها وصياغتها.

يتألف مبنى المسرح من عدة أماكن هي: حلبة التمثيل، والقاعة وملحقاتها، وأماكن الإدارة، ومستودعات الملابس، والديكورات، ومقاصير الممثلين. ويؤدي الديكور دورا مهما في تقديم العمل المسرحي وفهمه في إطاريه الزماني والمكاني، بحيث تتآلف المشاهد وتبدو في شكلها الطبيعي وظروفها التاريخية والسياسية. والجمهور عنصر أساسي تتحكم ثقافته في تحديد مستوى المسرحية.

سادسا: عناصر المسرحية:

1 . **الفكرة:**

تعد الفكرة أساس أي مسرحية، فهي المحور الذي تدور حوله الأحداث والشخصيات. ويستمد الكاتب المسرحي فكرته من واقع الحياة أو التاريخ أو السياسة أو الأسطورة، بحسب رؤيته واهتمامه. وتساعده خبرته الحياتية ووعيه بقضايا المجتمع على صياغة فكرة مؤثرة وهادفة.

كما يوظف خياله الإبداعي ليمنح الشخصيات حياة وحركة. ومن خلال الأحداث والمواقف الدرامية تتجسد الفكرة بوضوح أمام المتلقي.

2 . **الشخصية:**

تعد الشخصية المحورية أو البطل الأول الركيزة الأساسية في المسرحية، إذ تقود مجرى الأحداث وتسهم في تصاعد الصراع حتى بلوغ النهاية. وتأتي الشخصيات الثانوية لتدعيم الحدث المسرحي وإبراز أبعاد البطل، فلا يكتمل البناء الدرامي دون تفاعلها معه. ويحرص الكاتب على رسم الشخصية من خلال أبعاد متعددة، فالبعد الجسمي يحدد مظهرها الخارجي، والبعد النفسي يكشف مشاعرها ودوافعها، بينما يوضح البعد الاجتماعي مكانتها وعلاقتها بالمجتمع. ومن خلال تكامل هذه الأبعاد تتجسد الشخصية بصورة واقعية ومؤثرة تخدم الفكرة المسرحية.

3 . الصراع:

يتمثل الصراع في المسرحية في التناقض بين الخير والشر، حيث تتواجه الشخصيات بأفكارها ومواقفها المختلفة. وقد ينشأ هذا الصراع بسبب خلاف حول مبدأ أو قيمة معينة. كما قد يكون صراعا داخليا يعيشه الفرد مع نفسه نتيجة تردد أو نزعة متعارضة. ولا يقتصر الصراع على العلاقات الخارجية فقط، بل يمتد إلى أعماق النفس البشرية. ويعد الصراع عنصرا أساسيا في دفع الأحداث وإبراز المعاني الفنية والفكرية.

4 . الحركة:

نقصد بها تتابع الأحداث والصراع بشكل متواصل دون انقطاع، مما يحافظ على شد انتباه المشاهد. وقد تتحقق هذه الحركة بالفعل المسرحي أو بالحوار المتبادل بين الشخصيات. وأحيانا يكون الصمت أبلغ من الكلام في التعبير عن التوتر والصراع. وتسهم الحركة في جعل المتفرج متفاعلا ومتابعا لسير العمل المسرحي.

5 . الحوار:

يعد الحوار العمود الفقري للمسرحية، إذ لا يمكن تخيل عمل مسرحي من دونه، لأنه الأداة الأساسية التي تتحرك بها الأحداث وتتطور. ومن خلال الحوار يكشف الصراع بين الشخصيات، سواء كان صراعا خارجيا أو داخليا. كما يساعد على إبراز الفكرة الأساسية التي يريد الكاتب إيصالها للجمهور. ويسهم كذلك في رسم ملامح الشخصيات، من حيث أفكارها ومشاعرها ومستواها الثقافي والاجتماعي. وقد يكون الحوار تبادليا بين الشخصيات، أو داخليا حين تخاطب الشخصية نفسها فيما يعرف بالمونولوج. ويمنح هذا التنوع الحوار قوة فنية تزيد من تأثير المسرحية وجاذبيتها.

6 . الحدث:

يرتبط الحدث بالشخصيات التي تتحرك داخل النص المسرحي أو على خشبة المسرح، وهذه الشخصيات لا تروي الأحداث، بل تقوم بها، إذ إن الحدث ينمو من خلال الحوار المستند إلى الحركة والفعل ما[1].

1 ـ سامي يوسف أبو زيد، تذوق النص الأدبي، ص: 251.250.249.